

"لو علمته لم يكن هو"

## الدين – الفلسفة

علاقة الدين بالفلسفة تاريخيا تتسم بالتنافر فالدين عند الفلاسفة هو حوار ديالكتيكي من أعلي الي أسفل يُملي فيه الاله نفسه على الانسان وحوار من أسفل الي أعلي يتملق فيه الانسان إلهه، والفلسفة عند اهل الدين هو رفض لوجود الاله إلا من وجود انساني مُتحرر غير معني بالمقدس.

والحقيقة ان المسألة لم تكن إلا ضبطا للألفاظ بين الدين والاله وأصحاب الملل والفلسفة، فالفلسفة ناطقة مُحبة للحكمة والحكمة اصطلاحا هو وضع الشيء في موضعه وهذا مُبتغى الاله من الانسان، المشكلة عند تحول الدين الي ملة الي قولبة (تعريفيا الملة هي القالب الذي يُحدد شكل الخبز) تنفصل فيها الأديان عن الاله وتتحول الجماعات الدينية "الملل" الي جماعات مُستبددة تُحدد للإنسان ليس فقط ما يجب أن يؤمن به ولكن أيضا ما يجب ان يكفر به.

## تاريخ الفلسفة:

لسنا هنا بصدد تأريخ للفلسفة وسياقها، انما فهم ما يدعيه الفلاسفة كونهم الفرقة الناجية، فالفلسفة اليونانية القديمة قبل وبعد سقراط وأفلاطون وأرسطو قد كان همها الأساسي فهم تركيب العالم ومعرفة مبدأه وأصله، ثم تطورت هذه الفلسفة الي فلسفة اخلاقية قانونية تُنشأ الدولة وتحكمها فالأصل عند افلاطون أننا نعيش أصدقاء في الدولة وإن لم نكن أصدقاء فأننا نحتاج الي العدل.

وفي الفلسفة اليهودية كانت معيشة العبريين في القدس تتم وفق فِهمٍ معقّد للقانون من خلال نصوص تنظم العلاقة مع الخالق. فالقانون بالنسبة لهم كان فكرة مرتبطة بأساس وجودهم كشعب أو أمة والقانون كان هبة إلهية إلى الشعب العبري ووسيلة للحفاظ على هويتهم وخصوصيتهم.

ثم الفلسفة المسيحية التي بُنيت على الفِهم العبري القديم وعلاقته بالكنيسة وسلطانها ثم أصبحت الإمبراطورية الرومانية مسيحية في القرن الرابع لتعتنق الفلسفة المسيحية بالفلسفة اليونانية ويصبح القانون طبيعي انساني وآخر قُدسي ويُهيئُ كُلّ القضايا اللاهوتية الرئيسية بتركيب الاعتقاد المسيحي مع ميتافيزيقيا الطبيعة الأرسطوطاليسية.

والفلسفة الإسلامية التي بدأت منذ الكندي في العصر العباسي بعد انفتاحه على الفلسفة اليونانية نتيجة التوسع الجغرافي للإسلام وثورة الترجمة في عهد المأمون (مع اعتبار ان المترجمين كانوا من مسيحي الشرق العرب وتأثرهم بالنصوص المسيحية المقدسة في تراجمهم كان كبيرا) ثم تعطلت الفلسفة الإسلامية بوفاة بن رشد وسيطرة الأشعرية على الفكر الإسلامي لتصبح الفلسفة مرادف للحذقة ورفضها التام من المؤسسات الدينية. وللفلسفة الإسلامية خصوصيتها الأنثروبولوجية في تعاملها مع قضايا مثل النبوة والامامة وصفات الله وقدم العالم وغيرها.

وتأثرت الفلسفة الإسلامية من البداية بالمسائل العقلية في معرفه خلق الكون وإرادة الخالق ثم انشغالها بالصراعات القديمة عن خلق القرآن وقدم العالم ونشأه علم الكلام وظهور المعتزلة لتتطور عند فلاسفة الإسلام المتأخرين "القرن الخامس" الي مسائل التأويل وتقديم العقل حيث كان بن رشد يقول إذا تعارض النص مع العقل يُأول النص.

وفلسفة العصور الحديثة التي تَبدأ بنقد جذري حول إمكانية الحُصول على معرفة حقيقية وتحطيمُ كُلِّ مؤسسات المعرفة المُقدسة وغير المُقدسة بشكل منظم ثم إعادة بناء نظام المعرفة باجتماع العلوم الطبيعية والعقلية سواء

بالطرق التجريبية أو بالبصيرة "الكوبرنيقية". ثم الفلسفة الأخلاقية التي تُصنف كل الأفعال بالطيب والشرير، ثم الفلسفة الوجودية والحديثة وما بعد الحديثة التي أفرت موت الاله ثم لاهوت ما بعد موت الاله.

الفلسفة والدين:

الدين إجابة واحدة والفلسفة أسئلة لا تنتهي، الدين حقيقة والفلسفة معني، الدين كلمات والفلسفة علامات، الدين قصص تُروي لتطمئن القلوب والفلسفة قصص تُروي لمواصلة النقاش.

عند فلاسفة ما بعد الحداثة الغربيين فإن الدين والعبادات هي تملق للإله خوفا من الموت، وان الموت هو السبب الرئيسي لتعلقنا بالمقدس الذي يبتزنا طول الوقت ليطمئننا الي حياة ما بعد الموت، وان الموت هو المشروعية الوحيدة التي تبقّت للدين. والفلسفة تعيد للإنسان حريته في اختيار دينه وقصيدته وألمه وهمه وقضيته.

وان المتدين دائما غير سعيد ولا يصلح للسعادة، فلا يوجد في النصوص المقدسة ذلك اللفظ "سعيد"، يوجد متدين راض فائز بالأخرة يتقرب بحزنه الي إلهه باحثا عن خلاصه.

وتشبه الفلسفة علاقة المتدين بالمؤسسة الدينية بسوفيستوس (أصل السفسطائية) وهو بائع المعرفة في اليونان القديمة الذي كان يأكل عقول الناس بالحديث ويبيعهها الي الحاكم او هي كما في رسائل بولس الرسول حين قال "نذهب لاصطياد مؤمنين".

والفلاسفة يرون الدين صناعة مؤسساتية، موقفا انجازيا جماعيا، لعنة ظلامية تصيب العقول، وقد قالوا ان كنت لا تستطيع التوجه بنظرك في غرفة مظلمة فكيف عليك ان تتوجه بتفكيرك في عقل مظلم.

الخلاصة ان الشعوب لا تحتاج الي نفس الحقائق ولا تتألم بنفس الطريقة فمنذ أربعة عشر قرنا سألوا عن الروح "يسألونك عن الروح" وسألوا عن ذي القرنين "يسألونك عن ذي القرنين" وعن المحيض وعن الأهله وعن الخمر والميسر وعن الجبال وغيرها، والان يجب ان نسأل عن الفقر عن الحرية عن الكرامة عن التعليم عن الصحة وان لم يستطيع الدين الإجابة فعلي الأقل تستطيع الفلسفة متابعة الأسئلة.

والخلاصة أيضا ان ما اراده الاله ليس هو الدين الذي نمارسه فالدين عند الاله ليس نصا مقدسا يحوي الحياة  
وانما هو نص مليء بالإشارات فكلمة "نظر" في المصحف قد تكررت ١٠٢ مرة وتكررت أيضا كلمة "سمع"  
نفس العدد، وان رغبة الاله لنا في الخروج من أنفسنا والتحرر حتى من عبء الاختيار فقال "فمن شاء فليؤمن  
ومن شاء فليكفر" هو بذلك جوهر الحكمة التي هي جوهر الفلسفة.